المشبهة عند المسلمين

د. نايف محمد المتيوتي[*]

من خلال اطلاعنا على الدراسات المتناولة للفرق الإسلامية لاحظنا أن هناك اهتماما وتركيزا على الفرق الكبيرة أو الرئيسة إن صح التعبير كالخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة وأهل السنة ... بينما تم تجاهل فرق أخرى كان لها اثر كبير في تاريخ الفكر الإسلامي بشكل أو بآخر ومنها فرقة المشبهة التي كان لها آراء شغلت بال المسلمين لمدة من الزمن بل وأثرت في آراء الفرق الأخرى ..

وربما لا نستطيع أن نطلق على المشبهة اسم فرقة لأنها لم تكن فرقة موحدة بل هي مجموعة أراء توزعت على جماعات ذوات انتماءات مختلفة بعضها ينتمي إلى الفرق الكبيرة التي ذكرناها آنفا ، كما أن كتاب الفرق اختلفوا في تسمياتهم بين المشبهة والمجسمة ، والحقيقة ان هناك فرقا بين التشبيه والتجسيم من حيث أن التشبيه لا يقتضي بالضرورة التجسيم ، بينما التجسيم هو حالة المبالغة في التشبيه لان القائل به لا يكتفي بالوصف التشبيهي فحسب وانما يتعداه الى التجسيم العضوي .

والمشبهة كما قال علماء اللغة من التشابه أي التوافق والمطابقة والانسجام ، والتشابه يعني المشابهة والمحاكاة [١]، قال الجوهري [٢] التشبيه يعني التمثيل ويقال شِبْهَهُ أي شبيهه والجمع مَشَابِه ، والتشبيه تصور الله تعالى في ذاته او في صفاته على غرار الانسان ، والمشبهة قوم شبهوا الله تعالى على غرار الانسان.

اما كُتّاب الفرق فقد تباينت تعريفاتهم للمشبهة فقال بعضهم[٣] ان المشبهة هم الذين يشبهون الخالق بالمخلوق وينسبون اليه ما لا يليق بجلالة كبريائه ، كاليد والرجل والشعر والظفر واللحم والعظم والقيام والقعود والنزول والصعود وغير ذلك ، ويجعلون ذاته

(*) مدرس في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الموصل.

محل الحوادث ، وان العرش مكانه والكرسي مستقر اقدامه وامثال ذلك مما لا يليق به تعالى .

ونسب الى بعض المشبهة قولهم ان معبودهم على صورة ذات اعضاء وابعاض إما روحانية وإما جسمانية [٤]، وحجتهم في ذلك انه لا يكون الشيء معقولا الا اذا كان جسما او عرضا ، وبما انه لايجوز ان يكون الله تعالى عرضا فلا بد ان يكون جسما ، واحتجوا ايضا ان الفعل لا يكون الا من جسم وان الله تعالى فاعل فوجب ان يكون جسما، وقد استندوا في ذلك الى بعض آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر اليد والعين والوجه والجنب وغير ذلك من الاعضاء، والى بعض الاحاديث النبوية الشريفة التي ورد فيها ذكر القدم واليمين والرجل والاصابع [٥].

ومن جانب اخر قالوا ان الله تعالى نفى العبودية للاصنام لانتفاء اليد والرجل والعين والاذن عنها مؤلين قوله تعالى ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ** ﴾ [٦] وجعلوا ذلك دليلا على جواز اضافة هذه الاشياء الى الله تعالى [٧] ، ويبدو انهم غالوا في البحث عن الادلة لاثبات حججهم بحيث ان دليلهم هذا لا يقبل به من كان لديه ادنى معرفة في علوم القرآن والتفسير فكيف بكبار العلماء والمفسرين ، اذ من المعلوم ان الأصنام التي كان يعبدها المشركون لها ايد وارجل واذان واعين فهي صنعت مشابهة للجسم البشري وموافقة له من حيث الشكل ونسوا ان مقصد هذه الآية هو الروح، أي ان هذه الاصنام ليس فيها الروح والحياة التي تمكنها من النظر باعينها والسمع باذانها والبطش بايديها والمشي بارجلها ...

كما اختلف كُتّاب الفرق في تصنيف المشبهة وهل هم فرقة واحدة ام فرق عدة؟، يقول الشهرستاني[٨] : " انهم مجموعتان الاولى تنتمي الى فرق الشيعة وهم اصحاب الهشامين هشام بن الحكم [٩] وهشام بن سالم الجواليقي [١٠] ، والمجموعة الاخرى من الحشوية وهم اتباع مضر[١١] وكهمس [١٢] واحمد الهجيمي " [١٣] .

وقسمهم كل من البغدادي [١٤] والاسفراييني [١٥] الى صنفين على حسب رايهم في التشبيه، فقالا ان المشبهة صنفان الاول يشبه ذات الله تعالى بغيره من الذوات ، والثاني

يشبه صفاته تعالى بغيره من الصفات ، اما الكرماني [١٦] فقد جعلهم فرقة واحدة وجعلهم في عداد كبار الفرق الاسلامية وعلل ذلك بانهم اتفقوا على تشبيه الله بالمخلوقات وتمثيله بالحادثات وان اختلفوا في طريقة التشبيه . على حسب رأيه . وبذلك جمع مشبهة الشيعة والحشوية والكرامية في فرقة واحدة .

وهناك تقسيم اخر انفرد به ابن تيمية [١٧] بان صنفهم بحسب ارائهم في كل مسالة على حدة مقارنا اياهم بالفرق الاسلامية الاخرى ، فجعلهم بين القدرية والجبرية في رايهم بافعال العباد، وجعلهم بين المرجئة والوعيدية من القدرية في مسالة وعيد الله تعالى ، وبين الحرورية (من الخوارج) والمعتزلة وبين الجهمية والمرجئة في مسألة اسماء الإيمان والدين ، وبين الشيعة والخوارج في موقفهم من الصحابة (رضي الله عنهم).

ويبدو ان فكرة تشبيه الله تعالى بالانسان دخلت الى المسلمين نتيجة مؤثرات ديانات سابقة ولا سيما اليهودية اذ يرى الشهرستاني [١٨] ان اكثر اراء المشبهة مقتبسة من اليهود ، فصورة الإله يهوة كما وصفها العهد القديم . ولا سيما في الاسفار الخمسة الاولى . صورة بشرية محضة .. جاء في سفر التكوين " ثم قال الله : لنصنع الانسان على صورتنا " [١٩] ، " يوم خلق الله الانسان صنعه الله على مثاله " [٢٠] ، " سافك دم الانسان يُحكم عليه بسفك دمه لان الله خلق الانسان على صورته " [٢١] ، وجاء في سفر الخروج " انما اقتاد الله الشعب عبر صحراء البحر الاحمر ... وكان الرب يتقدمهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ليلا في عمود نار ليضئ لهم " [٢٢] ، كما نسب المزمور العاشر على لسان داود (عليه السلام) وهو يخاطب الله تعالى قوله " رب لماذا تقف بعيدا ... " و " قم يارب ، ارفع يدك يا الله ، لا تنس المساكين"[٢٣]، هذا فضلا عن ورود الكثير من الألفاظ في العهد القديم توحي بالتجسيم وتشبيه الله تعالى بالانسان.

كما قال النصارى بالتشبيه والتجسيم ايضا بل غالوا في ذلك حتى جعلوا الله تعالى حالاً في شخص السيد المسيح (عليه السلام) (وهو بشر) ، وبالتالي فان هيئة الله تعالى لا تختلف عن هيئة البشر ، بل انهم جعلوا الله سبحانه وتعالى ابا والمسيح (عليه السلام) ابنا " فقالوا حقا كان هذا ابن الله " [٢٤] ، وجاء في انجيل مرقس " ثم ان الرب بعد ما كلمهم رُفع الى السماء وجلس عن يمين الله " [٢٥].

كما ان الديانات الفارسية القديمة . وان كانت ثنوية . كان لها نصيب من التشبيه ايضا ولا سيما المزدكية اتباع مزدك [٢٦] الذي قال ان معبوده جالس على كرسي في العالم الأعلى كجلوس كسرى على كرسيه في العالم الاسفل [٢٧] ، هذا فضلا عن ان الديانات الفارسية بشكل عام تؤمن بوجود إلهين إله الخير او النور في الاعلى وإله الشر او الظلمة في الاسفل وكلا الإلهين لا متناهيين من جميع الجهات باستثناء الجهة التي يحد فيها كل منهما الاخر [٢٨] ، وبذلك جعل اصحاب هذه الديانات لمعبودهم الذي هو إله الخير او النور جهة معينة في الأعلى كما جعلوا له نهاية وحَدّاً من الجهة التي يلاقي فيها إله الظلمة.

يقول البغدادي [٢٩] عن الكرامية . احدى فرق التشبيه عند المسلمين . انها اخذت فكرة تناهي الله تعالى من جهة السفل . اي من الجهة التي يلاقي فيها العرش سبحانه . من قول الثنوية ان النور يتناهى من الجهة التي يلاقي فيها الظلام .

وبذلك فقد كان للديانات السابقة للاسلام . سماوية كانت ام غير سماوية . تأثير في بعض المسلمين ، ولاسيما ان كثيرا منهم كانوا اصلا من اصحاب تلك الديانات ثم اعتنقوا الاسلام وبقي لدى البعض منهم شيء من معتقداتهم القديمة ظنا منهم انها لا تتعارض مع تعاليم الاسلام .

وقد استند المشبه بشكل عام الى وجود بعض الآيات في القرآن الكريم والى بعض الاحاديث النبوية الشريفة . يوحي ظاهرها بالتشبيه اوالتجسيم . لتأييد ارائهم ومنها قوله تعالى : ﴿ **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [٣٠] ، ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [٣١] للدلالة على اليد ، وقوله ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ** ﴾ [٣٢] للدلالة على الرجل ، وقوله ﴿ **إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ** ﴾ [٣٣] للدلالة على البصر، وقوله ﴿ **وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا** ﴾ [٣٤] ، وقوله ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيما** ﴾ [٣٥] للدلالة على الكلام ... وغيرها من الآيات الكريمة .

اما الأحاديث النبوية الشريف فكقوله (ﷺ):

لا تقبحوا الوجه فان ابن آدم خلق على صورة الرحمن تعالى [٣٦] .

يضع الرحمن عز وجل قدمه في النار ... [٣٧] .

انما قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن [٣٨] .

فوضع يده على كتفي فوجدت بردها بين ثديي [٣٩] .

وضع الله كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي [٤٠] .

وقد اختلف كُتّاب الفرق فيمن بدأ القول بالتشبيه عند المسلمين فذكر البعض ان السبئية[٤١] اول من تكلموا بالتشبيه وفي ذلك يقول البغدادي [٤٢] "... ولما احرق الامام علي قوما منهم [٤٣] قالوا الآن علمنا انك إله لانه لا يعذب بالنار الا الله " ، والذي نراه ان السبئية لم يقصدوا تشبيه الله تعالى بالانسان (الامام علي ﷺ) بمعنى التشبيه الجسدي أي ان الله تعالى له اعضاء وجوارح كالتي للامام علي ﷺ وانما قصدوا حلول ذات الله تعالى بشخص الامام علي ﷺ.

وعلى ذلك نستطيع القول إن اول من قال بالتشبيه والتجسيم هو بيان بن سمعان التميمي[٤٤] الذي قال إن صورة الله تعالى تشبه صورة الانسان عضوا بعضو وجزءا بجزء وانه . أي الله تعالى . يهلك كله الا وجهه [٤٥] في اشارة لقوله تعالى﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ [٤٦] .

وقد وافقه في ذلك معاصره المغيرة بن سعيد العجلي [٤٧] بل انه زاد عليه باراء غريبة عن الاسلام في التشبيه والتجسيم ، وقد نقل لنا الشهرستاني [٤٨] قوله في هذه المسألة فقال : " ... وزاد المغيرة على ذلك قوله بالتشبيه فقال ان الله تعالى صورة وجسم ذو اعضاء مثل حروف الهجاء ، وصورته صورة رجل من نور على راسه تاج وله قلب تنبع منه الحكمة ... " ، هذا فضلا عن قوله ببعض الآراء التي لاتمت للدين الاسلامي بصلة متاثرا بالديانات الفارسية القديمة واستطاع ان يجمع حوله بعض الأتباع وكون حركة منظمة حتى ان البعض جعله استاذ الغلاة ومعلمهم [٤٩] .

ثم ظهر بعده مقاتل بن سليمان [٥٠] الذي عُد من ابرز المشبهة والمجسمة وقيل انه اخذ من اليهود والمسيحيين ما يوافقه لتدعيم ارائه [٥١] ، يقول عنه المقدسي [٥٢]: "انه زعم ان الله جسم من الاجسام لحم ودم وانه سبعة اشبار بشبر نفسه " كما نقل عنه الاشعري [٥٣] قوله : " ان الله جسم وان له جمة [٥٤] وانه على صورة الانسان لحم ودم وشعر وعظم وله جوارح واعضاء من يد ورجل واعضاء وعينين مصمت " ، الا انه في نفس الرواية يعود ليستدرك فيقول : " وهو مع هذا لايشبه غيره ولا يشبهه !؟ " [٥٥]، وحجته

هو واصحابه في ذلك قولهم : " اننا لم نشاهد شيئا موسوما بالسمع والبصر والعقل والعلم والحياة والقدرة الا ما كان لحما ودما " (٥٦) ، والارجح ان قول مقاتل بالتشبيه كان ردا على الجهمية . اتباع جهم بن صفوان . الذين عطلوا الصفات فغالى مقاتل في اثباتها فوقع في التشبيه ، وقال ابو حنيفة عنه " اتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل ومقاتل مشبه " (٥٧) ولذلك امتنع احمد بن حنبل من الرواية عنه (٥٨) ، وعلى ذلك فانه لدى بعض الباحثين اول من ادخل فكرة التشبيه والتجسيم في الفلسفة الاسلامية بصورة واضحة (٥٩) ، وقد انتشرت اراء مقاتل التي تصف الله تعالى وصفا ماديا محسوسا بشكل رئيس في اقليم خراسان (٦٠) .

اما اشهر من قال بالتشبيه من فرق الشيعة فهم الهشامية وهم فرقتان الاولى اتباع هشام بن الحكم والثانية اتباع هشام بن سالم الجواليقي ، فاما هشام بن الحكم فقد نقل لنا البغدادي (٦١) رأيه في هذه المسألة فقال : " زعم هشام بن الحكم ان معبوده جسم ذو حد ونهاية وانه طويل ، عريض، عميق ، وان طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه ، ولم يثبت طولا غير الطويل ولا عرضا غير العريض ، وقال : ليس ذهابه في جهة الطول ازيد على ذهابه في جهة العرض ... ، وزعم ايضا انه ذو لون وطعم ورائحة ومجسة وان لونه هو طعمه وطعمه هو رائحته ورائحته هي مجسته ... وقال ان معبوده هذا سبعة اشبار بشبر نفسه كأنه قاسه على الانسان لان كل انسان في الغالب من العادة سبعة اشبار بشبر نفسه " ، وحكى عنه ابو عيسى الوراق انه قال : ان الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شيء عن العرش ولا يفضل من العرش شيء عنه (٦٢) .

وربما قصد هشام هذا أن ربه يشبه الانسان العادي حتى من حيث الحجم فقد نقل عنه ابو الهذيل العلاف . شيخ المعتزلة الذي كان معاصرا له . ان هشام بن الحكم قال له ان ربه جسم يتحرك ذهابا وايابا ويجلس احيانا واحيانا يقوم ، وان له طولا وعرضا وعمقا ، قال فقلت له ايهما اعظم الهك ام هذا الجبل ؟ . في اشارة الى احد جبال مكة . فقال هذا الجبل اعظم منه(٦٣)!!.

وفـي منـاظرة اخرى بينهمـا حـاول هشـام ان يثبـت ان الله تعـالى جسم فقـال لابـي الهذيل العلاف : انك تقول ان الله عالم بعلم وعلمه ذاته وبذلك يكون عالما لا كالعالمين ، اذا لماذا لا تقول انه جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور ؟![٦٤].

اما هشام بن سالم الجواليقي فانه كما قال عنه البغدادي [٦٥] مفرط في التشبيه والتجسيم لقوله ان الله تعالى على صورة الانسان بلا لحم ولا دم لكنه نور ساطع ، وله حواس خمس كحواس الانسان وله يد ورجل وانف واذن وعين وفم [٦٦] ، كما انه قال ان افعال العباد اجسام لانه لايوجد شيء في العالم غير الاجسام ، وان ادم (عليه السلام) صورة على مثل الله تعالى فنصف هذا ونصف هذا [٦٧] .

ومن الذين قالوا بالتشبيه ايضا في نطاق الشيعة داود الجواربي [٦٨] بقوله ان الله تعالى جسم ولحم ودم وله جوارح واعضاء وهو اجوف من فمه ومصمت ما سوى ذلك [٦٩]، كما نسب له القول ان معبوده له جميع اعضاء الانسان ماخلا الفرج واللحية [٧٠]، وكذلك الشيطانية اتباع محمد بن النعمان الاحول المعروف بشيطان الطاق [٧١] الذي قال ان ربه على صورة الانسان لكنه ليس بجسم [٧٢]، وغايته من نفي التجسيم والاكتفاء بالتشبيه فقط لتفادي الحجج التي وقعت على المجسمة [٧٣].

وقد تبلورت كل اراء القائلين بالتشبيه والتجسيم على يد محمد بن كرام السجستاني [٧٤] الذي بدأ حياته بالزهد والتقشف ، ثم اصبحت له بعض الاراء الكلامية فطرد على اثرها من سجستان فاخذ يتنقل بين البلدان الا انه حيث ماحل حورب من العلماء واتهم بالنفاق وانه صاحب خرافات وبدع وضلالة [٧٥] فاودع السجن في نيسابور بتهمة قوله ان الايمان قول فقط وبعد خروجه رحل الى الثغور الشامية واظهر النسك والتقشف والورع فاصبح له بعض الاتباع هناك عرفوا بالكرامية نسبه اليه [٧٦].

يقول البغدادي [٧٧] في اثناء حديثه عن ضلالات الكرامية . كما اسماها . " فمنها ان ابن كرام دعا اتباعه الى تجسيم معبوده ، وزعم انه جسم له حد ونهاية من تحته ومن الجهة التي منها يلاقي عرشه وهذا شبيه بقول الثنوية [٧٨] ان معبودهم الذي سموه نورا يتناهى من الجهة التي يلاقي الظلام وان لم يتناه من خمس جهات ، وقد وصف ابن كرام معبوده في بعض كتبه بانه جوهر كما زعمت النصارى ان الله جوهر ..."، كما نسب اليه

قوله ان الله تعالى مستقر على عرشه وانه مماس له من الجهة العليا ويجوز عليه الانتقال والتحول والنزول [٧٩] ، واعجب من هذا كله ان ابن كرام وصف الله تعالى بالثقل فقال في تفسيره لآية ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ**﴾[٨٠] انها انفطرت من ثقل الرحمن عليها [٨١]

وفي الحقيقة ان مؤلفات ابن كرام وغيره ممن قالوا بالتشبيه لم تصل الينا وبالتالي فإنّا مضطرون للاعتماد على ما نقله كتاب الفرق والعقائد عنهم ، فالبغدادي مثلا [٨٢] ينقل من كتاب لابن كرام عنوانه (عذاب القبر) ويصف هذا الكتاب بالمعروف مما يدل على ان الكتاب كان ذا شهرة واسعة ايام البغدادي لكنه للاسف لم يصل الينا هو والكثير من الكتب الاخرى...

كما مال جماعة من المشبهة الى مذاهب الحلولية [٨٣] وقالوا بجواز ظهور الله تعالى على هيئة بشر مثلما كان ينزل جبريل عليه السلام بصورة رجل اعرابي [٨٤] ، واستندوا في ذلك الى قول النبي ﷺ رايت ربي في احسن صورة ... [٨٥] .

كما زاد المشبهة على كل ما سبق بالقول ان حروف القرآن المكتوبة قديمة ازلية وانه لا يعقل كلام ليس بحروف ولا كلم ، مستندين الى قول النبي ﷺ يحشر الله العباد **فيناديهم بصوت يسمعه** من بَعُد كما يسمعه من قَرُب ... [٨٦] ، وقالوا ان موسى كان يسمع كلام الله تعالى كجرّ السلاسل [٨٧] ، وغايتهم من ذلك اثبات ان لله تعالى جهازا صوتيا كجهاز الانسان ، وفي ذلك مغالاة بالتشبيه اذ لم يكتفوا بالتشبيه الخارجي بل تجاوزوه الى الاعضاء الباطنية ! .

كما ان هناك صنفا اخر من المشبهة اصطلح على تسميتهم بمشبهة الحشوية ، وهم من رواة الحديث وانما سموا بذلك لانهم يكثرون الحشو في الحديث بلا تمحيص للروايات ولا تدقيق ، يقول فيهم الكوثري [٨٨] " وكان عدة من احبار اليهود ورهبان النصارى وموابذة المجوس اظهروا الاسلام في عهد الراشدين ثم اخذوا بعدهم في بث ماعندهم من الاساطير بين من تروج عليهم ممن لم يتهذب بالعلم من اعراب الرواة وبسطاء مواليهم ، فتلقفوها منهم ورووها لآخرين بسلامة باطن معتقدين ما في اخبارهم في جانب الله من التجسيم والتشبيه ومستأنسين بما كانوا عليه من الاعتقاد في جاهليتهم ، وقد

يرفعونها افتراءا الى الرسول ﷺ او خطأ ، فاخذ التشبيه يتسرب الى معتقد الطوائف ويشيع شيوع الفاحشة ... "

واشهر مشبهة الحشوية كما ذكر الشهرستاني (٨٩) مضر وكهمس واحمد الهجيمي .كما مر ذكرهم . ، وقيل ان هؤلاء ومن سار على نهجهم كانوا يدخلون الكثير من الحشو في الاحاديث التي يروونها ولا سيما الضعيفة منها ، فأجازوا على الله تعالى المصافحة والمزاورة وان المخلصين يعانقونه في الدنيا والاخرة اذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد حد الاخلاص والاتحاد المحض (٩٠) ويقول التهاوني (٩١) ان مشبهة الحشويه قالوا ان الله جسم لا كالاجسام وهو مركب من لحم ودم لا كاللحوم والدماء ، وله الأعضاء والجوارح وتجوز عليه الملامسة والمصافحة ...

واما رايهم في النبوة والرسالة فقد زعموا انهما صفتان قائمتان بذات الرسول فضلا عن (الوحي والتبليغ والمعجزة والعصمة) وصاحبهما هو الرسول واي شخص تتوافر فيه تلك الصفة يجب على الله تعالى ارساله (٩٢) ، اما رايهم في الامامة فقد جوزوا وجود امامين او اكثر في عصر واحد ، وقالوا ان عليا ومعاوية (ﷺ) كانا امامين في عصر واحد غير ان إمامة علي على وفق السنة وإمامة معاوية على خلاف السنة الا ان طاعته واجبة على رعيته (٩٣).

ولما كانت مسالة الصفات هي أُس الخلاف بين المشبهة واهل السنة والجماعة فقد رد الكثير من العلماء على المشبهة بمؤلفات مختلفة التصنيف والترتيب ، بين شارحٍ مُفصِل و موجِزٍ مختصِر، منها ما صنفه الشنقيطي (٩٤) في كتابه (منهج ودراسات في آيات الأسماء والصفات) مختصرا رأي السلف في هذه المسألة قائلا : اعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع من البدع التي يكرهها السلف اعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يتركز على ثلاثة أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي (ﷺ) وأصحابه والسلف الصالح ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم.

١. تنزيه الله جل وعلا على أن يشبه بشيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (٩٥) ، ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾(٩٦) ، ﴿ **فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ** ﴾ (٩٧) .
٢. الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ﴿**أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ**﴾(٩٨) ، والإيمان بما وصفه به رسول الله (ﷺ) الذي قال في حقه ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ (٩٩) ، فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله (ﷺ) وينزه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة المخلوقين وحيث أخل بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلال .
٣. قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية لان إدراك حقيقة الكيفية مستحيل وهذا نص الله تعالى عليه في سورة طه حيث قال ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** ﴾ (١٠٠). وكذلك ماجمعه ابن عثيمين (١٠١) من ردود العلماء على المشبهة والمجسمة فقال : ومذهبهم باطل ومردود بالسمع والعقل والحس: **اما السمع** فقد قال الله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (١٠٢) ، ﴿**فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ** ﴾ (١٠٣) ، ففي الاية الاولى نفى الله تعالى ان يكون له مماثل مع اثبات السمع والبصر، وفي الثانية نهى ان تضرب له الامثال فجمع في هاتين الآيتين النفي والنهي.

وأما العقل فدلالته على بطلان التمثيل من وجوه ، الاول التباين بين الخالق والمخلوق في الذات والوجود وهذا يستلزم التباين في الصفات ، لان صفة كل موصوف تليق به والأوصاف تتغير وتتميز بحسب ما تضاف اليه ، الثاني ان القول بالمماثلة بين الخالق والمخلوق يستلزم نقص الخالق سبحانه وتعالى لان تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصا، الثالث ان القول بمماثلة الخالق للمخلوق يقتضي بطلان العبودية الحق لانه لا يخضع عاقل لاحد ويذل له على وجه التعظيم المطلق الا ان يكون اعلى منه .

واما الحس فاننا نشاهد في المخلوقات ما تشترك اسماؤه وصفاته في اللفظ وتتباين في الحقيقة ، فللفيل جسم وقوة وللبعوضة جسم وقوة، والتباين بين جسميهما وقوتهما معلوم فاذا جاز هذا التباين بين المخلوقات كان جوازه بين الخالق والمخلوق من باب اولى.

وقد استطاع علماء المسلمين ان يحاصروا اراء المشبهة والمجسمة ويفندوها اولا باول بحيث انها لم تؤثر في عامة المسلمين بشكل كبير الى ان انتهت ولا اعتقد ان هناك اليوم . من المسلمين . من يقول بالتشبيه والتجسيم.

هوامش البحث

(١) نديم واسامة مرغشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية (بيروت: ١٩٧٤م) مج١، ص٦٤٥.

(٢) اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور، دار العلم للملايين (بيروت : ١٩٨٧م): ٦/٢٢٣٦، مرغشلي، الصحاح: مج١: ٦٤٥.

(٣) ابو محمد عثمان بن عبد الله العراقي، الفرق المتفرقة بين اهل الزيغ والزندقة، تحقيق: بشار قوتلو آي (انقرة:١٩٦١م): ٧٤.

(٤) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر (بيروت: ٢٠٠٢م): ٧٥.

(٥) ابو محمد علي بن احمد ابن حزم الاندلسي، الفصل في الملل والاهواء والنحل، دار الندوة الجديدة (بيروت: ١٣١٧ هـ): ٢/١١٧.

(٦) سورة الاعراف: الآية ١٩٥.

(٧) الفرق، المتفرقة: ٧٥.

(٨) الملل والنحل: ٨٤ .

(٩) هشام بن الحكم: ابو محمد مولى بني شيبان ولد في الكوفة ونشأ في واسط ثم انتقل الى بغداد للعمل في التجارة، كان في بداية امره من اتباع جهم بن صفوان ثم اصبح من اتباع جعفر الصادق، توفي نهاية القرن الثاني الهجري. ابو عمر محمد بن عبد العزيز الكشي، الرجال، تحقيق: السيد احمد الحسيني، مؤسسة الاعلمي (كربلاء: د/ت): ٢٢٠.

(١٠) هشام بن سالم بن بشر بن مروان، كوفي اصله من سبي الجوزجان حاول التقرب من الامام جعفر الصادق ﷺ (ت ١٤٨ هـ) لاقناعه بارائه لكنه لم يفلح، الرجال: ٢٣٨. ٢٤١.

(١١) هو ابو محمد مضر بن محمد بن خالد بن الوليد الاسدي عاصر الامام احمد بن حنبل ويحيى بن معين وسمع وروى عنهما الحديث، وروى عنه جماعة من الرواة قال عنه الدارقطني انه من الثقاة، توفي سنة ٢٧٧هـ. ابو الحسن محمد بن ابي يعلي، طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة (بيروت: د/ت): ٣١٨/١.

(١٢) هو ابو الحسن كهمس بن الحسن التميمي الحنفي البصري ، محدث مشهور حدث عن جماعة من اهل الحديث كالحسن البصري وغيره ، وروى عنه جماعة اشهرهم ابن المبارك ووكيع ، قال عنه احمد بن حنبل انه ثقة وزيادة ، وانه كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة ، توفي سنة ١٤٩ هـ . محمد بن احمد الذهبي ، سير اعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الارناؤط ومحمد العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة (بيروت : ١٤١٣ هـ): ٣١٦/٦–٣١٧.

(١٣) هو احمد بن عطاء الهجيمي البصري الزاهد ، كان في بداية امره من القدرية وداعية لهم، ثم التجأ الى الحديث وبدا يشتري الكتب ويحدث الناس بالاحاديث دون ان يأخذها من العلماء . احمد بن علي حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، مؤسسة الاعلمي (بيروت: ١٩٨٦م): ٢٢١/١.

(١٤) عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٥م) : ٢١٤ .

(١٥) ابو المظفر شاهبور بن طاهر ، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين ، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة الخانجي ، مكتبة المثنى (القاهرة ، بغداد : ١٩٥٥م): ١٠٥ .

(١٦) الفرق: المتفرقة ٩٣.٩٢

(١٧) احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي ، مكتبة ابن تيمية (د.ت): ١٤١/٣.

(١٨) الملل والنحل: ٨٦ .

(١٩) سفر التكوين: ٢٦/١ (ضمن الكتاب المقدس، طبعة : جي سي سنتر ، القاهرة : ١٩٩٢م).

(٢٠) سفر التكوين: ١/٥ .

(٢١) سفر التكوين: ٦/٩ .

(٢٢) سفر الخروج: ١٨/١٣ ، ٢١ .

(٢٣) المزمور العاشر : ١٢/١ .

(٢٤) انجيل متى: ٢٧ : ٥٤ .

(٢٥) انجيل مرقسك ١٦ : ١٩ .

(٢٦) هو مزدك بن بامداذ كان من كبار رجال الدين الزردشتي في عهد الملك الساساني قباذ (٤٨٨ . ٥٣١ م)، ثم انقلب على الزردشتية ودعا الى افكار جديدة اهمها شيوعية النساء والاموال فضلا عن الثنوية في العقيدة، للمزيد ينظر : ارثر كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة : يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام، لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة : ١٩٥٧م): ٣٣٦ وما بعدها .

(٢٧) الملل والنحل: ٢٠٢ .

(٢٨) للمزيد من التفاصيل عن الديانات الفارسية قبل الاسلام ينظر : نايف محمد المتيوتي ، المعتقدات الدينية واثرها على المجتمع الفارسي في العهد الساساني (٢٢٤ .٦٥١ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ٢٠٠١م.

(٢٩) الفرق، المتفرقة: ١٦٢ .

(٣٠) سورة الفتح : من الآية ١٠ .

(٣١) سورة المائدة : من الآية ٦٤ .

(٣٢) سورة القلم : من الآية ٤٢ .

(٣٣) سورة الملك : من الآية ١٩ .

(٣٤) سورة المجادلة : من الآية ١ .

(٣٥) سورة النساء : من الآية ١٦٤ .

(٣٦) سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد الحميد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم (الموصل : ١٩٨٣م): ٤٣٠/١٢.

(٣٧) ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ، السنن الكبرى ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية (بيروت : ١٩٩١م): ٤١٤/٤.

(٣٨) علي بن ابي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ، دار الرياض للتراث ، دار الكتاب العربي (القاهرة ، بيروت : ١٤٠٧هـ): ٢٦١/٧.

(٣٩) ابو يعلى احمد بن علي بن المثنى ، مسند ابي يعلى ، تحقيق : حسين سليم اسد ، دار المامون للتراث (دمشق : ١٩٨٤م): ٤٧٥/٤.

(٤٠) محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق : احمد محمد شاكر وآخرين ، دار احياء التراث العربي (بيروت : د / ت): ٣٦٨/٥.

(٤١) اتباع عبد الله بن سبأ ، يهودي من اهل صنعاء اعلن اسلامه في زمن الخليفة عثمان بن عفان ثم اخذ ينتقل بين عوام المسلمين مثيرا الفتن لاضلالهم ، محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف (القاهرة : ١٩٨٧ م): ٢٤٠/٤.

(٤٢) الفرق، المتفرقة: ٢١٤.

(٤٣) هناك رواية تتناقلها المصادر ان السبئية الّهوا الامام علي (ﷺ) . ابان خلافته . فامر باحراقهم، ينظر : ابو الحسين احمد بن محمد الملطي ، التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع ، تحقيق : محمد زاهد ابن الحسن الكوثري ، مكتبة المثنى ، مكتبة المعارف (بغداد بيروت : ١٩٦٨م): ١٨ ؛ ابن حزم ، الفصل في الملل: ١٨٦/٤.

(٤٤) من بني تميم ، اشتهر امره في العراق مطلع القرن الثاني الهجري فقبض عليه خالد القسري والي العراق للامويين وقتله سنة ١١٩ هـ ، ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق هلموت ريتر ، دار فرانز شتاينر (المانيا : ١٩٨٠م): ٥ .

(٤٥) الملل والنحل: ١٢٣.

(٤٦) سورة القصص : من الآية ٨٨ .

(٤٧) من موالي والي العراق خالد بن عبد الله القسري ، كان في بداية امره يقول باراء ابن سبأ ثم بعد ذلك اصبح له اراء خاصة به فلما علم بامره خالد القسري قبض عليه وقتله في واسط سنة ١١٩ هـ ، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق ثروة عكاشة، دار المعارف (القاهرة : ١٩٦٩م): ٦٢٣ ؛ احمد بن محمد ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق : احمد امين واخرين ، لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة : ١٩٥٦) مج٢ ، ص٤٠٥.

(٤٨) الملل والنحل: ١٤٣.
(٤٩) محمد جابر عبد العال، حركات الشيعة المتطرفين، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة: ١٩٥٤م): ٣٧. ٤١.
(٥٠) ابو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر اصله من بلخ ، انتقل الى البصرة ثم الى بغداد اشتهر بتفسير القرآن ، ذمه كثير من العلماء باستثناء الشافعي الذي جعله افضل المفسرين، توفي سنة ١٥٠ هـ ، ابو العباس احمد ابن محمد بن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة (بيروت : ١٩٩٨م): ٥/٢٥٥-٢٥٧.
(٥١) سهير محمد مختار ، التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية، شركة الاسكندري للطباعة ، (الاسكندرية: ١٩٧١م): ١٢٤.
(٥٢) المطهر بن طاهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة (القاهرة : د / ت): ٥/١٤١
(٥٣) مقالات الاسلاميين: ١٥٣.
(٥٤) ربما جمجمة وقد سقطت من الناسخ.
(٥٥) مقالات الاسلاميين: ١٥٣.
(٥٦) ابو سعيد نشوان بن سعيد الحميري ، الحور العين ، تحقيق ، كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، مكتبة المثنى (القاهرة ، بغداد : ١٩٤٧م): ٤٩.
(٥٧) سير اعلام النبلاء: ٧/٢٠٢.
(٥٨) ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل ، دار احياء التراث العربي (بيروت : ١٩٥٢م): ٨/٣٥٤.
(٥٩) التجسيم عند المسلمين: ١٢٤ .
(٦٠) المرجع نفسه: ١٢٥ .
(٦١) الفرق، المتفرقة: ٤٤ .
(٦٢) الملل والنحل: ١٤٨ .
(٦٣) مقالات الاسلاميين: ٣٢ .
(٦٤) الملل والنحل: ١٤٩ .
(٦٥) الفرق بين الفرق: ٤٦ ؛ وكذلك ابو سعيد نشوان ، الحور العين: ١٤٩ .
(٦٦) مقالات الاسلاميين: ٣٤.

(٦٧) الرجال: ٢٤١ .

(٦٨) او الحواري حسب اختلاف ذكره في المصادر

(٦٩) ابن الجوزي ، تلبيس ابليس: ١٠٧/١.

(٧٠) الملل والنحل: ١٥١ ؛ محمد بن يوسف الكرماني ، الفرق الاسلامية ، تحقيق : سليمة عبد الرسول ، جامعة بغداد (بغداد : ١٩٧٣م): ٩٣ .

(٧١) كان صيرفيا بطاق المخامل في بغداد فاختلف مع احد الصيارفة في نقد درهم فغلبه فقال انا شيطان الطاق فلصق هذا الاسم به ، احمد بن ابراهيم بن عيسى ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الامام ابن القيم ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي (بيروت : ١٤٠٦ هـ): ٢٧٦/٢.

(٧٢) الفرق: ١٦٢ .

(٧٣) التجسيم عند المسلمين: ١٣٣.١٣٢ .

(٧٤) هو ابو عبد الله محمد بن كرام ولد في قرية من اعمال سجستان توفي بالقدس سنة ٢٥٥هـ، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا ، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٤١١ هـ): ١٢٨/٧.

(٧٥) التبصير: ٩٩ .

(٧٦) التجسيم عند المسلمين: ٥٩.٥٨ .

(٧٧) الفرق: ١٦٢ .

(٧٨) مصطلح يُقصد به جميع الذين يؤمنون بوجود إلهين اثنين، اما البغدادي فانه يقصد هنا بصورة خاصة المانوية اتباع ماني الذي ظهر في عهد الملك الساساني سابور الاول (٢٤١ ـ ٢٧٢ م) وقال بوجود إلهين إله النور وإله الظلمة للمزيد عنه ينظر: ايران في عهد الساسانين: ١٧١ .

(٧٩) الملل والنحل: ٨٧ .

(٨٠) سورة الانفطار : الآية : ١ .

(٨١) الفرق بين الفرق: ١٦٤ .

(٨٢) المصدر نفسه: ١٦٥ .

(٨٣) الذين يقولون ان الله تعالى يحل في اشخاص معينين ، وبعضهم قال انه تعالى حال في كل صورة حسنة ، المصدر نفسه: ١٧١ .

(٨٤) الملل والنحل: ٨٦ .

(٨٥) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، سنن الدارمي ، تحقيق : فواز احمد زمرلي و خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي (بيروت : ١٤٠٧ هـ): ١٧٠/٢.

(٨٦) محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، دار اليمامة (بيروت: ١٩٨٧م): ٢٧١٩/٦.

(٨٧) الملل والنحل: ٨٥ .

(٨٨) مقدمة كتاب تبيين كذب المفتري في ما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري لابن عساكر، نشر القدسي (دمشق : ١٣٤٧ هـ): ١٠ .

(٨٩) الملل والنحل: ٨٤ .

(٩٠) المصدر نفسه: ٨٤ .

(٩١) محمد علي الفاروقي التهاوني ، كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق : لطفي عبد البديع ، المؤسسة المصرية (القاهرة : ١٩٦٣م): ١٦٧/٢.

(٩٢) الفرق بين الفرق: ١٦٧ ؛ الفرق الاسلامية: ٩٥ .

(٩٣) الفرق بين الفرق: ١٦٨ ؛ الفرق الاسلامية: ٩٥ .

(٩٤) محمد الأمين الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، تحقيق : عطية محمد سالم، الدار السلفية (الكويت : ١٤٠٤ هـ): ٩ ومابعدها .

(٩٥) سورة الشورى : من الآية ١١ .

(٩٦) سورة الإخلاص : الآية ٤ .

(٩٧) سورة النحل : من الآية ٧٤ .

(٩٨) سورة البقرة : من الآية ١١٤ .

(٩٩) سورة النجم : الآيتان ٣ ، ٤ .

(١٠٠) الآية ١١٠.

(١٠١) محمد بن صالح العثيمين ، تقريب التدمرية ، مكتبة السنة (القاهرة : ١٩٩٢م): ٢٣. ٢٤.

(١٠٢) سورة الشورى : من الآية ١١ .

(١٠٣) سورة النحل : من الآية ٧٤ .